

ظاهرة الأسلوب في التراث العربي

حسين موسى محمد البشير

husainmusa21@yahoo.com

مقدمة

يعد الأسلوب مصطلحا متعالى الأطراف ومتعدد الأبعاد في الدراسات الأدبية والمباحث النقدية لدى العرب من العهد القديم إلى العصر الحديث بحيث إنهم لا يكادون يتفقون على تحديد جامع مانع لهذا المصطلح.

ولذلك قام العلماء من المتكلمين واللغويين والنحويين والبلاغيين العرب من الأدباء والناقدين بتأليف أمهات الكتب للكشف عن دلالة هذه اللفظة وبيان عناصرها من حيث الشكل والمحتوى. فقدّموا كتباً عديدة ومقالات مختلفة حول مصطلح الأسلوب لإبانتته ووضع مناهج دراسته فهذه المقالة تسلط بصيصاً من النور على علم الأسلوب في التراث العربي من خلال النقاط التالية:

- نشأة علم الأسلوب وتطوره في التراث العربي
- الظواهر الأسلوبية في كتب النقاد المتكلمين والبلاغيين
- النظم هو الأسلوب عند عبد القاهر الجرجاني
- الأسلوبية الحديثة عند العرب
- علاقة الأسلوبية بالبلاغة

- ثم تأتي الخاتمة، وقائمة المراجع والهوامش فالله ولي التوفيق والسداد.

- نشأة علم الأسلوب وتطوره في التراث العربي

نشأته:

بدأت الدراسة الأسلوبية في التراث العربي منذ العصر الجاهلي، وللعرب قوالب ثابتة يبنون عليها كلامهم ويلزمون أنفسهم بمراعاتها فمن بينها صور الاستفهام والتعجب والتمني والرجاء والقسم، وغير ذلك من المباحث النحوية، ومنها أيضاً صيغ الماضي والمضارع، والإفراد والتثنية والجمع وصيغ المبالغة والتفضيل وما شابهها من المباحث الصرفية، وكذلك وضعت العرب ألفاظاً متميزة لأصوات الجنس الحيواني كالنعيق للغراب والنهيق للحمار والزئير للأسد والنباح للكلب والعواء للذئب.^١ وضعت هذه الألفاظ في المعاجم العربية للتمييز بين المعاني والدلالات، إلا أن هذه القوانين اللغوية جبلة وموجودة في طباعهم، ويتعلمها منهم بنوهم، ومن صاحبهم من الأجانب عن طريق المحاكاة كإبراً عن كابر هذا، وكان للعرب في الجاهلية أهل فصاحة من الخطباء وخناذيد الشعراء، يخطبون عن طواعية، وعن طيب خاطر، ويقرضون الشعر بالسليقة والارتجال، واخترعوا في خطبهم وأشعارهم تشبيهات رائعة وأمثالا سائرة وحكما بالغة يزخرفون بها كلامهم حتى أثرت هذه الإبداعات الأدبية في نفوسهم وصارت معايير يقيسون بها كلامهم البليغ، ونماذج يتوارثونها كابر عن كابر. ومن خرج عن هذه القواعد يقومونه، وبناء على تلكم

الملاحظات المتداولة بدأ النقد الأدبي كما ظهرت المقاييس الأسلوبية عن تألق الخطيب في إبداع خطبته وبراعة الشاعر في ابتكار شعره.^٢

وأما رواد النقد في العصر الجاهلي فهم كثيرون كما أفادنا أحمد أمين علما بأن ممن برز في ذلك النابغة الذبياني الذي عرف بنقد الشعراء وتفضيل بعضهم على بعض، وجهر بتفضيله الأعشى والخنساء على من سواهما من الشعراء، ومع ذلك لم ينبج هو من نقدهم إياه. إذ عابوا عليه الإقواء في قوله:

أمن آل مية رائح أو مغندي ** عجلان ذا زاد وغير مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غدا ** وبذاك حدثنا الغراب الأسود^٣

فغير سطر البيت وتنبه إلى أن الإقواء معيب وتحرز عنه فيما بعد.

كما يُعدّ طرفة بن العبد من رواد النقد الشعري ويبرز ذلك في نقده للمتلمس

حيث يقول:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره ** بناج عليه الصيعرية مقدم

فقال طرفة: استنوق الجمل لأن الصيعرية سمة في عنق الناقة لا عنق البعير.^٤

وغير هؤلاء من أعضاء منتدى الأدب والنقد في العصر الجاهلي في سوق عكاظ.

- الظواهر الأسلوبية في بعض مؤلفات القدامى

في هذا الجزء من الورقة تتم معالجة الظواهر الأسلوبية في مجموعة من كتب النقاد المتكلمين والبلاغيين، فنخص بالذكر أربعة منهم، وهم ابن قتيبة والرماني والخطابي وابن طباطبا، وذلك لأهمية تعليقاتهم الأسلوبية. أما ابن قتيبة فقد تطرق إلى دراسة الأسلوب في تقسيمه للشعر إلى أربعة أنواع كما يلي:

١- ما حسن لفظه وجاد معناه مثل قول حسان بن ثابت في مدح المصطفى (صلى الله عليه وسلم):

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم ** إذا تفاوتت الأهواء والشييع

أهدى لهم مدحتي قلب يؤازره ** فيما أحب لسان حائك صنع

فإنهم أفضل الأحياء كلهم ** إن جدّ بالناس جدّ القوم أو شعوا

٢- ما حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى، مثل قول امرئ القيس في معلقته:

ومثلك جبلى قد طرقت ومرضع ** فألهيتها عن ذي التمام محول

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له ** بشق وشق عندنا لم يحول^٦

وهذا الكلام فاحش لا طائل تحته مع سلاسة ألفاظه وحسن تركيبها.

٣- ما جاد معناه وقصرت ألفاظه مثل قول الحارث بن حلزة الإشكري:

والعيش خير في ظلا ** ل النوك ممن عاش كدًا^٧

٤- ما تأخر معناه وتأخر لفظه: وهو ضربان: تعقيد لفظي، وتعقيد معنوي مثل قول الفرزدق حين يمدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك:

وما مثله في الناس إلا مملكا ** أبو أمه حيّ أبوه يقاربه
وعلى هذا البيت علّق الرماني: قد اجتمع في البيت أسباب الإشكال الثلاثة، سوء الترتيب وبه تغير نظام الكلام، وسلوك الطريق الأبعد في قوله أبو أمه أبوه وكان يحزنه أن يقول خاله، وإيقاع مشترك الألفاظ في قوله حي يقاربه، لأنها لفظة تشترك فيها القبيلة والحي من سائر الحيوان بالحياة.^٨

ومنه قول امرئ القيس الكندي في وصف فرس:
وأركب في الروع خيفانة ** كسا وجهها سعف منتشر

شبه الشاعر فرسه بالخيفانة وهي الجرادة في السرعة وهذا التشبيه لا يخلو من ضعف لظهور ضعف وجه الشبه في المشبه به. كما أن تشبيه ناصية فرسه بالسعف أيضا ضعيف لأن المعروف عند العرب أن شعر الناصية إذا غطى العينين لم تكن الفرس كريمة مع أن مراد الشاعر إشعار المستمعين بسرعة فرسه ونجابتها، فقد تأخر اللفظ وتأخر المعنى فلم يبلغ الشاعر غايته التي يتغياها في تعبيره.^٩

فبهذا التقسيم ينبها ابن قتيبة إلى وجوب التوازن بين اللفظ والمعنى من حيث السبك والحبك إذ النظم عند ابن قتيبة هو سبك الألفاظ وربط بعضها إلى بعض ربطاً

قواميل

١- محمد حسن الخطيب، عافية الأدب ومهاجرة إلى اللغة الأديب الحديثة، ط ١، رابط
الأديب الحديث بالقاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ٦٥-٦٥

٢- محمد حامد المصري، المرجع نفسه، ص ٤٢-٤٢

٣- أحمد أمين الخطيب، اللغة الأدبية، ط ١، ط ١، لبنان، دار الكتب العربي
الشعر والتوزيع بيروت، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ص ١١٦-١١٦

٤- أحمد أمين، المرجع نفسه، ط ١، ص ٤٦-٤٦

٥- حسان بن ثابت، عينية حسان بن ثابت في المدح النبوي، السيرة النبوية لابن هشام،
ج ٤، القاهرة، مطبعة الحجاج عبد السلام بن محمد بن شقرون، ١٩٧٤م، ص

١٥٦

٦- امرؤ القيس بن حجر الكندي، معلقة امرؤ القيس، مختار الشعر الجاهلي، ج ١، شرح
و تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٤٨م،

ص ٢٥

٧- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة: البيان والمعاني والبدع، بيروت، المكتبة العصرية
صيدا، ٢٠٠٩م، (١٤٣٠هـ)، ص ١٥٤

٨- أحمد مصطفى المراغي، المرجع نفسه ص ٢٧

٩- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة: البيان والمعاني والبدع، ١٩٥١م،

ص ٧-٨

أرجو ربح أن يعنى صفتها ** نحو وقد أهدى ربها
واستداه العرش قدال

أرجو كتبه أن يعنى صفتها ** نحو وقد أهدى ربها
وقالوا إن المراد من هذا البيت قال

« ما قلت فافهم شروفاً ** تحلفه أين حراء العجاء

وبإمعان النظر في أثناء عبد القاهر المرحاني في

تأويل النظم الخاص للموسم عليه بالأسلوب فترك

أنه جمع بين حسن التركيب النحوي مع مراعاة

العالم الأرياحية في تكوين الكلام وتقويمه.

وينتد من الكلام السابق أن عبد القاهر حصص الأسلوب بأنه ضرب من

النظم، ومعنى هذا أن هذا الأخير عام، والأسلوب خاص، بيد أن هذا لا يعبر من

حقيقة الأمر شيئاً، "النظم" أي ترتيب الكلمات وفقاً لمعاني النحوى هو نفسه ما

يتحقق في الأسلوب الذي نعزي لشاعر أو كاتب معين.

والملاحظ أن كلمة "الأسلوب" كانت تستعمل لدى غير الإمام المرحاني من علماء

العربية ونقادها بمعنى عام: "الطريق" كما جاء في المعاجم، فحاء المرحاني وأعطاه معنى

خاصاً اصطلاحياً كما قدمنا. وإذا كان المرحاني قد أدار كلامه على الإيجاز

مستخدماً مصطلح النظم، فسبب ذلك - فيما يبدو - أنه كان معنياً في الأصل بالرد

على سوح المعتزلة الذين ناطقوا إعجاز القرآن الكريم بنظمه أيضاً، ولكنهم فسروا

أو يتناول النحو الكلام على السمع ويستند فيه بالغة على أبعاد وهذا
البناء السلف الذي هو في الحقيقة الأسلوب الذي وأصل من التحليل اللغوي
الغائي

وعلاوة على ذلك إن العلاقة بين جرمي جرمي من التراكيب التي تكون
الدراسة الأسلوبية ولا يمكن الاستغناء عنها في تحقيق الطريقة الأسلوبية في إطار
الخطي

الخطية

يبدو من خلال هذه الجولة من أعمق الأسلوب في التراث العربي ما
للأسلوب من أهمية بالغة في التراث العربي ومدى صكته وعلاقته بالثقافة العربية
حيث إننا لا نحاسب القصور إذا قلنا إن الأسلوبية أنه اللغة وورثتها وحملها لوالدها
كما نلاحظ أن العلماء العرب من المتكلمين والناحيين والأدباء والفقهاء حللوا معنى
الأسلوب شكلًا ومضمونًا وتناولوه بالكتابة وسموه تسميات كثيرة منها النظم إلا أن
عد القاهر الجرحاني هو أول من أطلق على النظم لفظة الأسلوب.

تكتسب منها وبين المعاني من تجري بعضها مع بعض في جودة وفساد كقراءة الماء في
الأنوار والسمار يكون مشقة.

والأسلوب عند الروماني هو إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من
اللفظ، وهذا التعريف يوفقنا على أن الأسلوب هو الصورة الجيدة من اللفظ، والتي
توصل المعنى إلى القلب، فالقارئ يرفقه حركات هذا النوع من الأسلوب.

وأما الخطائي فيقول: "إن عمود هذه البلاغة التي تسمع لها هذه الصفات هو:
وضع كل نوع من الألفاظ التي تشمل عليها معنول الكلام موضعها الأحسن الأشكل
به".¹ كما نلاحظه في الملاحظات الجاهلية المشهورة.

وإذا ما كان النظر في قول الخطائي نفهم أن الكلام الصحيح التحليل هو ما تقع
كل كلمة من الكلمات التي كونه موقعها اللاحق بها من ذلك الكلام، سواء كان
ذلك الكلام جملة واحدة فقط، أو نصاً مشتملاً على جملة عدة. والمراد بالأسلوب هنا
هو مراعاة المعيار النحوي المطرد في تركيب الكلام، لأن الترتيب النحوي الدقيق
يؤدي بالمستمع إلى فهم دقيق لمحتوى الكلام كما أن تركه يحدث اللبس وسوء الفهم
لدى المتلقي.

وهذا ابن طباطبا يتناول الألفاظ والمعاني بقوله:

"وللمعاني ألفاظ تشاكلها، فتحسن فيه وتفسح في غيرها، فهي لها كالمعارض
للنحابة الحسناء التي تزداد حسناً في بعض المعارض دون بعض، وكم من معنى حسن

تختلف الدراسات في تحليل الدراسات الأسلوبية بسعة الدكتور حسام أحمد فرج حيث
 اشتمل أربع رسائل وأخرية ثلاثة من خصائص التحليل بسعة وسهولة كما يبرز ذلك
 والتيسر في كتابها *INTRODUCTION TO TEXT LINGUISTICS* (متمثل إلى لغة النص) وأبرز
 هذا اللون منه سار الدكتور عبد السلام عبد تعي كميلاً في تحليل رسالة الشيخ أحمد
 عبد الله إمام في توثيقها إلى قسم الدراسات العربية والإسلامية جامعة بغداد، تجربة
 في مقلته أنه في كتاب مركز الدراسات الإلهوية جامعة البصرة، وشاول فيها عناصر
 الخطاب -الخطاب- والخطاب والخطاب والمقال ثم تحليل الخطاب تعابير النص
 السبعة كما يلي:

1- (الربط) Cohension

2- الحيك -التماسك Coherence

3- الفصل Intentionality

4- القول Acceptability

5- الإعلامية Informativity

6- سياق الموقف Situationality

7- التناس Intertextuality¹¹

ونلاحظ من خلال قراءتنا للمقالة أن الباحث طبق هذه الأسس تطبيقاً
 فكرياً، لأنه ذكر خصائص الرسالة وتحلل نصها وأثبت لنا مدى تماسكها وترابطها

هذا هو المبدأ الذي أتى به في كتابكم من حيث هو الذي أتى به في كتابكم

والتي هي في هذه من حيث هي من الواضح أن يكون هناك نوع من التوازن
والتي هي في هذه من حيث هي من الواضح أن يكون هناك نوع من التوازن
والتي هي في هذه من حيث هي من الواضح أن يكون هناك نوع من التوازن

- النظم هو الأسلوب عند طلبة القاهر المخرج

في هذه الحالة عند طلبة القاهر المخرج والذين من الشكليات عبارة عن
في هذه الحالة عند طلبة القاهر المخرج والذين من الشكليات عبارة عن
في هذه الحالة عند طلبة القاهر المخرج والذين من الشكليات عبارة عن
في هذه الحالة عند طلبة القاهر المخرج والذين من الشكليات عبارة عن
في هذه الحالة عند طلبة القاهر المخرج والذين من الشكليات عبارة عن
في هذه الحالة عند طلبة القاهر المخرج والذين من الشكليات عبارة عن
في هذه الحالة عند طلبة القاهر المخرج والذين من الشكليات عبارة عن
في هذه الحالة عند طلبة القاهر المخرج والذين من الشكليات عبارة عن
في هذه الحالة عند طلبة القاهر المخرج والذين من الشكليات عبارة عن
في هذه الحالة عند طلبة القاهر المخرج والذين من الشكليات عبارة عن

هذا هو ذلك قوله:

والأسلوب ضرب من النظم والطريقة فيه، فيعتمد
شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيحيى في شعره
فيشبه من يقطع من أديمه نعلًا على مثال نعل قد
قطعها صاحبها، فيقال: قد احتذى على مثاله
وذلك مثل أن القرردق قال:

- ١٠- عبد الله بن عبد الله الأسدي، في اللغة الأثني، ج ٢، القاهرة: مكتبة الأثر، القاهرة: ١٩٨٥، ص ١٢٠.
- ١١- عبد الله بن عبد الله الأسدي، الإصحاح الثاني للقرآن خليفة أسطورة، بغداد: ج ١، ص ١٢٠.
- ١٢- عبد الله بن عبد الله الأسدي، دلائل الإصحاح، ج ٣، مطبعة المدني بالقاهرة، ١٩٩٢، ص ١٢٠-١٢١.
- ١٣- عبد الله بن عبد الله الأسدي، المرجع السابق، ص ١٢٠-١٢١.
- ١٤- إبراهيم بن عبد العزيز السبكي، المحامد الفقه الأثني العربي، ص ٢٦٨-٢٦٩.
- ١٥- إبراهيم بن عبد العزيز السبكي، المرجع نفسه، ص ٢٦٨-٢٦٩.
- ١٦- عبد العزيز بن عبد الله بن عبد السلام، "من زمت الورد العربي" رسالة الشيخ أحمد بن عبد الله الأثري إلى قسم الدراسات العرب والإسلامية بجامعة إنقاذ، بيروت: دراسة نقدية تحليلية، في: *From History, Culture and Lessons of Peaceful Co-existence*, Eds: Ghassan Ghassan, Z.I. Ghassan, N.A. Adedimeji, A.L. Azezi Centre for Islamic Studies, ٢٠٠٠-٢٠٠١ pp. ١٢٠-١٢١ (CRS).
- ١٧- صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئ وإجراءاته، المرجع السابق، ص ١٢٢-١٢٣.
- ١٨- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، المرجع السابق، ص ١٢٢-١٢٣.
- ١٩- عبد السلام المسدي، المرجع نفسه، ص ١٢٣.
- ٢٠- حوريف منال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ١٤٠٤/١٩٨٤، ص ٧.

النظم "بالتصور بالألفاظ دون توضيح لكيفية ذلك التصور، واتوجه بهذا الشأن لأخي
المترجمي أن النظم الفخام الذي يحكمه أسلوباً هو الذي أتى من النظم العام بالظهور
الظاهر وهو الذي يختص به في النظم الأدبي ويعدونه فنوناً والمختصون بالأسلوبون في
هذه الدراسات. وما كان هذا الظاهر يتفق معهم في كون النظم هو مناط الإحصاء،
وختلاف عنهم بعد ذلك في التصور. فقد رأى الأديب بالانقطاع الذي استحدثوه،
ليكون رده عليهم معانداً لما جرى الخلاف حوله، وعلى ذلك يمكن القول بأن
حديثنا عن النظم عند عبد القاهر هو في حقيقة الأمر، حديث عن الأسلوب، وسوء
ذلك لنا القول بأن نظرية النظم في التفكير العربي إن هي إلا حلقة من حلقات الدرس
الأسلوبي عامة، وفي هذا الاتجاه يأتي الكلام عن الأسلوبية التي برزت في التفكير
اللغوي الحديث، وأما منها النقد الأدبي وغدت أقرب أدواته ومناهجه إلى موضوعية
التقييم والحكم."

الأسلوبية الحديثة عند العرب

أما الأسلوب عند العرب حديثاً فيرجع إلى فترة احتكاك النقاد العرب بالثقافات
الأدبي العربي، وتصلعهم من دراسته حتى ظهر منهم من ألف في الحقل الأسلوبي، ومن
طلّاع هؤلاء المؤلفين أحمد الشايب الذي قدّم كتابه بعنوان "الأسلوب" عام ١٩٣٩م،
ومنهم أحمد حسن الزيات في كتابه الموسوم بـ "دفاع عن البلاغة" وقد صدر بعد
كتاب الشايب بست سنوات، ١٩٤٥م، ولم نجد كتاباً عربياً يعتبر به في علم
الأسلوب بعد ذلك الكتابين حتى أخرج سعد مصلوح كتابه "الأسلوب دراسة لغوية

